أساليب دعوة الأنبياء إلى الله ﷻ (نوح وإبراهيم عليهما السلام أنموذجاً)

أ. م. د. إسراء ربيع عبيد

Mustansiriya University
Faculty of Education
Department of Quran Sciences

Methods of calling the prophets to God
(Noah and Abraham – peace be upon them – as a model)

A.M.D. Esraa Rabie Obaid

dr.israa.r.obaid@uomustansiriyah.edu.iq
07802134796

ملخص البحث

البحث يسلط الضوء على الجهود التي بذلها الانبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم لأقوامهم وما تحملوه من اعباء الدعوة من خلال عرض مبسط لدعوة نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام.

Research Summary:

The research sheds light on the efforts made by the prophets, peace and blessings be upon them, in.

Their invitation to their people and the burdens they bore of the invitation through a simplified presentation of Noah's call

And Ibrahim, may God's prayers and peace be upon them both.

***

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين.

وبعد؛ فممّا لا شك فيه ان انبياء الله جميعاً قد ادوا الامانة التي كلّفهم الله بها وتحملوا في سبيل الدعوة ما تحملوه من كفر اقوامهم وتكذيبهم لهم وسخريتهم بهم واستكبارهم عليهم ومعاندتهم للحق ومع كل هذا وذاك نجد جميع الانبياء قد افنوا حياتهم في سبيل ايصال الرسالة واداء الامانة بكل صدق وحكمة وصبر ولين جانب وتواضع، وسأعرض في بحثي هذا لنبيي الله (نوح وابراهيم) عليهما السلام، فجعلت المبحث الاول للتعريف ببعض المصطلحات والثاني للحديث عن نبي الله نوح عليه السلام والثالث لنبي الله ابراهيم عليه السلام واردفت ذلك بخاتمة تضمنت مجموعة من النتائج.

***

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات البحث

الاساليب لغةً وإصطلاحاً

لغة: يقال للسطر من النخيل اسلوب، وكل طريق ممتد فهو اسلوب، وهو الوجه والمذهب، ويجمع اساليب، والاسلوب الفن : يقال اخذ فلان في اساليب القول أي أفانين منه .[١]

اصطلاحاً : عرفه ابن خلدون بقوله «هو عبارة عن المنوال الذي تنسخ منه التراكيب أو القالب الذي فيه وهو يرجع الى الصورة التي شرعها الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها وهو الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي»[٢]

وقال احمد الشايب «هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لإداء الأفكار وعرض الخيال، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لاداء المعاني»[٣]

الدعوة لغةً واصطلاحاً

لغة: للفظة (دعا) في المعاجم معانٍ عدة، والذي يهمنا منها هنا اثنان الأول : دعاه، يدعو، دعاءً، بمعنى : ناداه وطلبه، والثاني : دعاه الى الشيء وللشيء : حنه عليه . ودعاه الى الله : أني الى عبادته .[٤]

وقد ورد هذا المعنى في مواطن عديدة في القرآن الكريم منها قوله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[٥] وقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)[٦] وقوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[٧] .

اصطلاحاً : عملية اخراج الناس بأعيانهم اخراجاً وفق منهاج النبوة من ظلمات واقع بعينه الى نور الله وشرعه المنزل على ذلك الواقع»[٨].

أو هي «جمع الناس الى الخير ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، قال تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٩]»[١٠].

واما تعريف المصطلح الاضافي (اساليب الدعوة): «الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته «أو كيفيات تطبيق مناهج الدعوة»[١١].

وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات القرآنية التي بينت اساليب الدعوة ومنها الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى قال تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[١٢].

***

المبحث الثاني

دعوة نوح عليه السلام

ارسل الله سبحانه وتعالى نوح عليه السلام الى قومه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان، وقومه الذين عبدوا الاصنام التي صنعوها بأيديهم لأناس كانوا صالحين فيهم فلما ماتوا صنعوا لهم تماثيل وبمرور الزمن عبدوها من دون الله قال تعالى (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)[١٣].

ولقد مكث فيهم نوح عليه السلام (٩٥٠) سنة يدعوهم فيها لعبادة الله وحده ونبذ عبادة الاصنام، لكنهم اصروا على كفرهم وعنادهم ولم يؤمن لنوح عليه السلام إلا قليلاً من قومه، وطيلة المدة التي مكث فيها نوح في قومه كان يدعوهم بأساليب مختلفة لتوحيد الله سبحانه وتعالى ولقد صور لنا القرآن تلك الاساليب في آيات كثيرة وفي سور شتى، ومن هذه الاساليب.

١- دعوته لقومه ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، قال تعالى (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)[١٤] وقال سبحانه (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا)[١٥]

«فقالوا رداً لدعوته، ومعارضة له بما ليس يصلح للمعارضة (أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ)[١٦] أي كيف نتبعك ونحن لا نرى اتباعك إلا أسافل الناس، وأراذلهم وسقطهم، بهذا يعرف تكبرهم عن الحق وجهلهم بالحقائق»[١٧].

ثم دعاهم نوح عليه السلام علناً على رؤوس الاشهاد، مجاهراً بدعوته لهم دون خوف أو تحفظ ثم اخبرهم سراً وعلناً، خيفةً وجهراً، وسلك معهم كل طريق في الدعوة الى الله.[١٨].

٢- ترغيبهم في الطاعة، مع بيان ثمراتها الدنيوية والآخروية قال تعالى (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)[١٩] «أي ارجعوا اليه وارجعوا عما انتم فيه وتوبوا اليه من قريب، فانه من تاب اليه تاب الله عليه، اذا تبتم الى الله واطعتموه، كثير الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الارض واعطاكم الاموال والاولاد وجعل لكم جنات فيها انواع الثمار وخللّها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة بالترغيب»[٢٠].

٣- توبيخهم على عنادهم واصرارهم على الكفر، قال تعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)[٢١] .

يقول ابن عاشور «هو استفهام صورته صورة السؤال عن أمر ثبت لهم في حال انتقاء رجائهم توقير الله ، والمقصود انه لا شيء يثبت لهم صارف عن توقير الله فلا عذر لكم في عدم توقيره»[٢٢] .

٤- ذكر قدرة الله في الخلق والتنبيه على نعمه الكثيرة التي لا تعد و لا تحصى، قال تعالى (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا *أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا

* وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا *ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)[٢٣].

وبعد ان استنفد نوح جميع اساليب الدعوة مع قومه وقابلوا كل ذلك بالكفر والعناد والتكبير، اشتكاهم الى ربه قائلاً القرآن الكريم بدأها بدلائل الانفس وبعدها بدلائل الافاق، وذلك لأن نفس الانسان اقرب الاشياء اليه .... ثم يرجع الحديث الى دلائل الانفس «وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا» وهو كالتفسير لقوله (خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) فانه بيّن انه تعالى خلقهم من الارض، ثم يردهم اليها، ثم يخرجهم منها مرة أخرى .. ثم يرجع الى آيات الافاق، بسط الارض، وتسهيل السير فيها وفي هذا من الدلائل ما فيه لمن يتأمل.[٢٤]

وبعد ان استنفذ نوح عليه السلام جميع اساليب الدعوة مع قومه وقابلوا ذلك بالكفر والعناد والتكبر طيلة الفترة التي مكثها فيهم عندئذ اشتكى نوح عليه السلام الى ربه، قال تعالى (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا)[٢٥] رب انهم عصوني، بعد كل هذا الجهاد، والعناء والتوجيه والتنوير وبعد الانذار والاطماع، والوعد بالمال والبنين والرخاء .... بعد هذا كله العصيان وكان السير وراء القيادات الضالة المضلة التي تخدع الاتباع بما تملك من المال والاولاد ومظاهر السلطان، ومكروا لتزيين الكفر والضلال والجاهلية التي تخبط بها القوم، وكان منهم مكرهم تحريض الناس على الاستمساك بالاصنام التي يسمونها آلهة .[٢٦]

ثم بعد ذلك دعا نوح عليه السلام على قومه بعد ما اخبره الله سبحانه بأن لن يؤمن من قومه الامن قد آمن قال تعالى (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[٢٧]

دعا عليهم دعاء المظلوم المغلوب قال تعالى (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ)[٢٨] دعاء المتوكل الموقن بإجابة الله لدعائه، قال تعالى (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)[٢٩] فجاءت الاجابة للدعاء والنصر الحاسم للمؤمنين والهلاك للمجرمين المكذبين، وكان هلاكهم بإغراقهم قال تعالى (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)[٣٠].

فحق عليهم العذاب (الغرق) بما كسبوا، قال تعالى (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا)[٣١].

وتحقق ود الله بالنصر والغلبة للمؤمنين، قال تعالى (قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٣٢].

وهذه سنة الله في خلقه التي جاء بها المرسلون فنصر الله للمؤمنين آت لا محالة، وهلاكه للكافرين المضلين المعاندين.

المبحث الثالث

دعوة إبراهيم عليه السلام

ارسل الله سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام الى قومه يدعوهم الى توحيد الله سبحانه وتعالى «وقد جعل الله ابراهيم عليه السلام الاب الثالث للعالم، فقال «ملة ابيكم ابراهيم [٣٣]، فأنّ أبانا الاول آدم، والاب الثاني نوح، والاب الثالث خليل الرحمن وشيخ الانبياء، كما سماه النبي ﷺ»[٣٤]، فمن ابراهيم عليه السلام تفرعت شجرة النبوة قال تعالى (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)[٣٥] وقال تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)[٣٦] فكل انبياء بني اسرائيل هم من نسل ابراهيم عليه السلام.

بدأ ابراهيم عليه السلام دعوته للتوحيد بدعوة ابيه قال تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[٣٧] ثم دعا قومه لتوحيد الله ونبذ عبادة الاصنام قال تعالى (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[٣٨]

وبعد ذلك دعا الملك الذي حاجّه في ربه قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[٣٩]

وقد اتبع اساليب كثيرة في دعوته نجملها بالآتي:

١- الاقرار بتوحيد الالوهية بذكر دلائل الربوبية، قال تعالى (قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ).[٤٠]

ابراهيم عليه السلام لم يمنعه أن اباه وقومه يعبدون ما يعبدون ان يفارقهم بعقيدته وان يجاهر بعدائه لآلهتهم وعقيدتهم واستثنى ابراهيم رب العالمين من عدائه لما يعبدون هم وآباؤهم الاقدمون . فقد يكون من آبائهم من عبد الله قبل ان تفسد عقيدة القوم وتنحرف عن الحق ثم يسترسل بذكر صفات ونعم الله سبحانه وتعالى، وهكذا يجمع ابراهيم من صفة ربه عناصر العقيدة الصحيحة (توحيد رب العالمين) والاقرار بتصرفه **للبشر من ادق شؤون حياتهم على الارض والبعث والحساب بعد الموت وفضل الله وتقصير العبد وهي العناصر التي ينكرها المشركون .[٤١]

٢- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد بدأ ذلك واضحاً وجلياً في دعوته لأبيه «وَاذْكُرْ

فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)[٤٢].

يقول الالوسي : «ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واحتج عليه ابدع احتجاج، بحسن ادب وخلق وليس له من هاجٍ لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن سبيل الرشاد، حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم او جاهل ويابى الركون اليه فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم، مع انها لاتحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام»[٤٣].

٣- المناظرة والتدرج في رد حججهم، وقد ذكر لنا القرآن مناظرتين لابراهيم عليه السلام.

الأولى : حواره لقومه ،قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ *إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ *قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ

* فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ *ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٤٤].

ابتدأ ابراهيم عليه السلام حواره مع قومه بالسؤال بـ (ما) التي يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم من باب تجاهل العارف، كأنه لا يعرف ما هي واشار اليها بما يشار به للقريب، وهذا وذاك تحقير لها، وتصغير لشأنها، مع علمه بتعظيم القول لها واجلالها .[٤٥]

فكان ردهم انهم وجدوا آباءهم لها عابدون، وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي، داخل قوالب التقليد الميّتة ،في مقابل حرية الايمان وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الاشياء والاوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية «[٤٦]

فلحظ ان جوابهم يخلو من الحجة والبرهان، وهو قائم على التقليد الاعمى، فيأتيهم الرد الصاعق من ابراهيم عليه السلام (قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ثم يستفهم القوم من ابراهيم عليه السلام هل ما جئت ب حق أم كنت من اللاعبين .

يبدأ ابراهيم بيان بعض دلائل قدرة الخالق سبحانه ليبرهن له بالدليل انه على الحق (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)

ثم أقسم ان يكيد اصنامهم بعد ان ينصرفوا عنها لبعض شأنهم ونفذ ابراهيم عليه السلام ما توعدهم به من تحطيم الاصنام، فلما رجعوا ووجدوا اصنامهم محطمة تسألوا من فعل هذا بها، فكان الجواب انهم سمعوا فتى اسمه (ابراهيم) يذكرهم بسوء، فأتوا بابراهيم وسألوه هل هو من فعل هذه بالآلهة فكان جواب ابراهيم (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) وأراد بسؤاله هذا ان يبادروا الى الاعتراف بأنهم لا ينطقون وانهم جماد لا يملكون حراكاً، فلا يمكن ان يصدر هذا الفعل عنم .[٤٧] فرجعوا الى انفسهم متفكرين وتبين لهم انهم ظالمون باتخاذ من لا يضر ولا ينفع حتى نفسه الهاً، ومع هذا اخذتهم العزة بالآثم فقالوا لابراهيم (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) فجاءهم الرد الحاسم من ابراهيم عليه السلام كيف تعبدون ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم .

فما كان منهم الا ان (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ). «انه منطق الحديد والنار الذي لا يعرف الطغاة منطقاً سواه عندما تعوزهم الحجة وينقصهم الدليل وحينما تحرجهم كلمة الحق الخالصة ذات السلطان المبين، قال تعالى (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ).... اين يذهب كيد العباد اذا كان الله يريد؟ وماذا يملك أولئك الضعاف المهازيل من الطغاة والمتجبرين واصحاب السلطان واعوانهم من الكبراء اذا كانت رعاية الله تحوط عباده المخلصين»[٤٩] .

فما كان عاقبتهم إلا الخسران بسبب كفرهم وعنادهم واستكبارهم .

الثانية : حواره للملك *

قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[٥٠] الخطاب في هذه الآيات موجه الى النبي محمد ﷺ فيقول له الله « الم تر تعجب من حاجة نمرد في الله وكفره به أن آتاه الله الملك ،..... الملك الذي ابطره واورثه الكبر والعتو فحاجّ لذلك»[٥١].

«والظاهر ان ابراهيم عليه السلام ادعى الرسالة فقال نمرود من ربك فقال ابراهيم (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) إلاّ ان تلك المقدمة حذفت لأن الواقعة تدل عليها «[٥٢] فأجبه الملك (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) بمعنى «اعفو عن القتل وأقتل فلما سمع ابراهيم جوابه الاحمق لم يحاجه فيه وانتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادلة من حجة الى حجة»(٥٣) .

«عدل ابراهيم عليه السلام من سنة الكونية الخفية الى سنة اخرى ظاهرة مرتبة وعدل عن طريقة العرض المجرد للسنة الكونية والصفة الإلهية في قوله (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) الى طريقة التحدي، وطلب تغيير سنة الله لمن ينكر وينعت ويجادل في الله ليريه ان الرب ليس حاكم قوم في ركن من الارض، وانما هو مصرف هذا الكون كله . ومن ربوبيته هذه للكون يتعين ان يكون هو رب الناس المشرع لهم»[٥٤] فذكر له ابراهيم سنة

كونية كحجة اخرى يلقيها على الملك (قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)[٥٥] .

«فهذا النظام الذي ينظم حركة الشمس قبل ان يولد هذا الانسان المغرور بآلاف السنين وملايينها، ليس من صنع انسان انه من عمل قدرة غير قدرة الناس، لماذا كان نمرود الهاً يناظر اله ابراهيم فيجيب على هذا التدي ولينفض على اله ابراهيم عملاً من عمله، وتدبيراً من تدبيره ،واسقط في يد الرجل وخرس لسانه وشل تفكيره وسقط من عليائه مبللاً بعرف الخزي والخذلان «[٥٦] فبهت الذي كفر وبهذا ألزم ابراهيم الملك الحجة ولم يستطع ان يرد على ابراهيم حتى بكلمة واحدة خصوصاً وان نبي الله ابراهيم عليه السلام انتقل به من دليل الى دليل لم يستطع الملك ابطال حقيقة الدليل الاول ولا حقيقة الدليل الثاني لذلك بُهت وقامت عليه الحجة.

***

الخاتمة

بعد هذه الرحلة القصيرة مع جانب من جوانب دعوة الانبياء اود تسجيل الاتي

١- الانبياء دعوتهم واحدة من آدم عليه السلام الى سيدنا محمد ﷺ قال تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) فالإسلام دين جميع الانبياء لكن الشرائع هي التي تختلف.

٢- جميع الانبياء دعوا الى الله بالحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى.

٣- الترفق بالأقوام التي بعثوا فيها والتحلي بالأخلاق والصبر على الدعوة ومشاقها مع تواضع ولين جانب بالرغم من كفر اقوامهم واستعلائهم وتكبرهم وسخريتهم منهم.

تم بحمد الله ...

***

الهوامش

١-ينظر : لسان العرب : لابن منظور (٩١١هـ)، دار المعارف، مادة (سلب)، تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدي (١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحقيقين، دار الهداية، مادة (سلب).

٢- المقدمة : لابن خلدون، مؤسسة الرسالة : ٦٦٦

٣-الاسلوب : احمد الشايب، مكتبة النهضة، ط١ / ١٩٦٦، ٤١.

٤-معجم الفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر / ١٣٩٠هـ.

٥-سورة فصلت : ٣٣.

٦-سورة الانفال : ٢٤.

٧-سورة يوسف : ١٠٨.

٨-مفهوم الدعوة الى الله عزّ وجل ومصادرها: مقال للشيخ الشاهد البوشيخي، جريدة المحجة العدد ٣٠٠، جمادي الثانية ١٤٢٩هـ : ٣-٥.

٩-سورة آل عمرآن : ١٠٣.

١٠- اسس الدعوة وآداب الدعاة : د. محمد السيد الاكيل، دار الوفاء، ٩.

١١- المدخل الى علم الدعوة : محمد ابو الفتح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٤٧.

١٢-سورة النحل : ٢٥.

١٣-سورة نوح : ٢٣.

١٤- سورة نوح : ٥

١٥- سورة نوح : ٨-٩

١٦- سورة الشعراء: ١١١

١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن السعدي (١٣٧٦ هـ) تحقيق: عبد الرحمن المصلى، مؤسسة الرسالة، ط١ /١٤٢٠ هـ : ٥٩٤.

١٨- ينظر: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة ط١ / ١٤١٧ هـ:٣ /٤٢٨

١٩- سورة نوح : ١٠ -١٢.

٢٠- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٧ / ١٤٠٢ هـ : ٢/ ٥٥٣.

٢١-سورة نوح : ١٣.

٢٢- التحرير والتنوير : لابن عاشور (١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية ، ١٩٨٤ م : ٢٩ / ١٩٩.

٢٣- سورة نوح : ١٤ -٢٠.

٢٤- ينظر : مفاتيح الغيب، للرازي ،ط١ ،بيروت، دار الليث العلمية، ١٤١١ هـ : ٣٠ / ١٢٤.

٢٥- سورة نوح : ٢١ -٢٤.

٢٦- في ظلال القرآن : سيد قطب، دار الشروق، ١٣٩٧ هـ، ٦ / ٣٧١٥.

٢٧- سورة هود : ٣٦

٢٨- سورة القمر : ١٠

٢٩- سورة نوح : ٢٦ -٢٧

٣٠- سورة القمر : ١١ -١٢

٣١- سورة نوح : ٢٥

٣٢- سورة هود : ٤٨

٣٣- سورة الحج : ٧٨

٣٤- جلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الانام : لابن القيم الجوزية، ادارة المطبوعات المنيرية، ١٣٥٧ هـ، ١٧٨

٣٥- سورة العنكبوت : ٢٧

٣٦- سورة ابراهيم : ٣٩

٣٧- سورة الانعام : ٧٤

٣٨- سورة العنكبوت : ١٦ -١٨

٣٩- سورة البقرة : ٢٥٨

٤٠- سورة الشعراء : ٧٤ -٨١

٤١- في ظلال القرآن : سيد قطب ، ٥ / ٢٦٠٣

٤٢- سورة مريم : ٤١ -٤٥

٤٣- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الالوسي، ط٢، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٦ / ٣٩٧

٤٤- سورة الانبياء : ٥١ -٦٧

٤٥- ينظر : روح المعاني : ١٦ / ٥٩

٤٦- في ظلال القرآن : ٤ / ٢٣٨٥

٤٧- ينظر : تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، دار الفكر، ٤ / ٥٧٠

٤٨- الانبياء : ٦٨

٤٩- في ظلال القرآن : ٥ / ٢٩٩٣

• هو نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن كوش ابن حام بن نوح ... وكان اول من وضع على رأسه التاج وتجبَّر في الارض، دعا الناس الى عبادته.

٥٠- سورة البقرة : ٢٥٨.

٥١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ / ١٤٠٧ هـ : ١ / ٣٠٤.

٥٢- مفاتيح الغيب : للرازي ، ٧ / ٢١.

٥٣- الكشاف : ١ / ٢٠٤.

٥٤- في ظلال القرآن : ١ / ٢٩٩.

٥٥- سورة البقرة : ٢٥٨.

٥٦- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (ت ١٣٩٠ هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة : ٢ / ٣٢٢.

***

المصادر

١-لسان العرب: لابن منظور (٩١١هـ)، دار المعارف، مادة (سلب)، تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي (١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحقيقين، دار الهداية، مادة (سلب).

٢- المقدمة: لابن خلدون، مؤسسة الرسالة

٣- معجم الفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر / ١٣٩٠هـ.

٤-مفهوم الدعوة الى الله عزً وجل ومصادرها: مقال للشيخ الشاهد البوشيخي، جريدة المحجة العدد ٣٠٠، جمادي الثانية ١٤٢٩هـ.

٥-اسس الدعوة وآداب الدعاة: د. محمد السيد الاكيل، دار الوفاء.

٦-المدخل الى علم الدعوة: محمد ابو الفتح، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن السعدي (١٣٧٦ هـ) تحقيق: عبد الرحمن المصلى، مؤسسة الرسالة، ط١ /١٤٢٠ هـ.

٨-صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة ط١ / ١٤١٧.

٩-مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٧ / ١٤٠٢ هـ.

١٠-التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية، ١٩٨٤ م.

١١-مفاتيح الغيب، للرازي ،ط١ ،بيروت، دار الليث العلمية، ١٤١١ هـ.

١٢-في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ١٣٩٧ هـ.

١٣-جلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الانام: لابن القيم الجوزية، ادارة المطبوعات المنيرية، ١٣٥٧.

١٤-روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الالوسي، ط٢، بيروت، دار احياء التراث العربي.

١٥-تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، دار الفكر

١٦-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ / ١٤٠٧ هـ.

١٧-التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (ت ١٣٩٠ هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.

***